

## تطوّر الحضارة وانهارها عند ابن خلدون

İBN HALDÛN'A GÖRE MEDENİYETİN GELİŞİMİ VE ÇÖKÜŞÜ

THE DEVELOPMENT AND COLLAPSE OF CIVILIZATION ACCORDING TO IBN KHALDUN

### AHMAD SHAIKH HUSAYN

DR. ÖĞR. ÜYESİ, KİLİS 7 ARALIK ÜNİVERSİTESİ İLAHİYAT FAKÜLTESİ TEMEL İSLAM BÖLÜMÜ,  
ARAP DİLİ VE BELAGÂTİ ANABİLİM DALI  
ASSISTANT PROFESSOR, UNIVERSITY OF KILIS 7 ARALIK FACULTY OF THEOLOGY  
DEPARTMENT OF ARABIC LANGUAGE AND RHETORIC

[ahmadsh777@outlook.com](mailto:ahmadsh777@outlook.com)

 <https://orcid.org/0000-0001-6646-704X>

 <http://dx.doi.org/10.46353/k7auifd.790134>

#### Makale Bilgisi / Article Information

Makale Türü / Article Types

Araştırma Makalesi / Research Article

Geliş Tarihi / Received

3 Eylül / September 2020

Kabul Tarihi / Accepted

25 Aralık / December 2020

Yayın Tarihi / Published

Aralık / December 2020

Yayın Sezonu / Pub Date Season

Aralık / December

Atıf / Cite as

Shaikh Husayn, Ahmad, "تطوّر الحضارة وانهارها عند ابن خلدون" [The Development and Collapse of Civilization According to Ibn Khaldun]. Kilis 7 Aralık Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi - Journal of the Faculty of Theology 7/2 (Aralık/December 2020): 773-796.

İntihal / Plagiarism: Bu makale, en az iki hakem tarafından incelendi ve intihal içermediği teyit edildi. / This article has been reviewed by at least two referees and scanned via a plagiarism software.

Copyright © Published by Kilis 7 Aralık Üniversitesi, İlahiyat Fakültesi - Kilis 7 Aralık University, Faculty of Theology, Kilis, 79000 Turkey. All rights reserved.

For Permissions

[ilahiyatdergisi@kilis.edu.tr](mailto:ilahiyatdergisi@kilis.edu.tr)

SCREENED BY



**iThenticate**  
Professional Plagiarism Prevention

## تطوُّر الحضارة وانهارها عند ابن خلدون ملخص

يعرض البحثُ نظريةَ ابن خلدون في الحضارة من حيث التطوُّر والانهار، فالمتتبع لمقدمة ابن خلدون لا بد أن يجد أنه قد أبدع في بناء نظرية لمفهوم الحضارة؛ واضحة الأطر والمعالم؛ وذلك من خلال تحليله الموسوم بالدقة لمراحل تكوينها ومظاهر قوتها، ومن ثم أسباب الضعف التي تكتنفها، لقد أسس ابن خلدون لنظرية في علم الاجتماع غاية في الأهمية ألا وهي (نظرية العمران)، إذ بين أن المجتمعات البشرية إنما تسير وفق قوانين مضبوطة ومحددة، وهذه القوانين تفتح المجال على قدر كبير من التنبؤ بالمستقبل من حيث تطوُّر الحضارات وانهارها إذا ما دُرست وفهمت بالشكل الصحيح. يتناول البحثُ بدايةً تعريفَ الحضارة (لغةً واصطلاحاً)، إذ أجمعت المعاجم العربية على أن الحضارة إنما هي حالة من التمدن ضد البداوة، في حين أن الكثير من الدارسين قد ذهبوا إلى أنها مجموعة المظاهر العلمية، والأدبية، والفنية، وكذلك الاجتماعية، الموجودة في المجتمع، كما تناول البحثُ الحديث عن حياة ابن خلدون والمراحل التي مرَّ بها، حيث كان لها التأثيرُ الأكبر في بناء نظريته، أما القسم الثاني من هذا البحث، فقد تناول أهم الأسباب والعوامل التي أدت إلى تطور الحضارة من وجهة نظر ابن خلدون، وكان من أهم هذه العوامل: (العوامل الطبيعية الجغرافية، الانتقال من البداوة إلى الحضرة، السياسة، الثروة، والعدل)، كما وقف البحثُ أيضاً على أهم الأسباب التي تدفع إلى انهيار الحضارة وسقوطها، فكان من هذه الأسباب: (غلبة العرب على الأوطان، التحكم بطبيع المُلْك، انقسام الدولة إلى دولتين، الظلم وما ينتج عنه من تأثير على الحضارة، والحضارة غاية العمران وبداية نهايته).

### خلاصة

يرمي هذا البحثُ إلى دراسة نظرية ابن خلدون في الحضارة من حيث التطوُّر والانهار، فالمتتبع لمقدمة ابن خلدون لا بد أن يجد أنه قد أبدع في بناء نظرية لمفهوم الحضارة؛ واضحة الأطر والمعالم؛ وذلك من خلال تحليله الموسوم بالدقة لمراحل تكوينها ومظاهر قوتها، ومن ثم أسباب الضعف التي تكتنفها، لقد أسس ابن خلدون لنظرية في علم الاجتماع غاية في الأهمية ألا وهي (نظرية العمران)، إذ بين أن المجتمعات البشرية إنما تسير وفق قوانين مضبوطة ومحددة، وهذه القوانين تفتح المجال على قدر كبير من التنبؤ بالمستقبل من حيث تطوُّر الحضارات وانهارها إذا ما دُرست وفهمت بالشكل الصحيح.

درس البحثُ بدايةً تعريفَ الحضارة (لغةً واصطلاحاً)، إذ أجمعت المعاجم العربية على أن الحضارة إنما هي حالة من التمدن ضد البداوة، في حين أن الكثير من الدارسين قد ذهبوا إلى أنها مجموعة المظاهر العلمية، والأدبية، والفنية، وكذلك الاجتماعية، الموجودة في المجتمع، كما تناول البحثُ الحديث عن حياة ابن خلدون والمراحل التي مرَّ بها، حيث كان لها التأثيرُ الأكبر في بناء نظريته، أما القسم الثاني من هذا البحث، فقد تناول أهم الأسباب والعوامل التي أدت إلى تطور الحضارة من وجهة نظر ابن خلدون، وكان من أهم هذه العوامل: (العوامل الطبيعية الجغرافية، الانتقال من البداوة إلى الحضرة، السياسة، الثروة، والعدل)، كما وقف البحثُ أيضاً على أهم الأسباب التي تدفع إلى انهيار الحضارة وسقوطها، فكان من هذه الأسباب: (غلبة العرب على الأوطان، التحكم بطبيع المُلْك، انقسام الدولة إلى دولتين، الظلم وما ينتج عنه من تأثير على الحضارة، والحضارة غاية العمران وبداية نهايته).

ومن الجدير ذكره أن ابن خلدون أسس لنظرية في علم الاجتماع غاية في الأهمية ألا وهي (نظرية العمران)، إذ بين أن المجتمعات البشرية إنما تسير وفق قوانين مضبوطة ومحددة، وهذه القوانين تفتح المجال على قدر كبير من التنبؤ بالمستقبل من حيث تطوُّر الحضارات وانهارها إذا ما دُرست وفهمت بالشكل الصحيح، فعلم

ال عمران عنده لا يتأثر بالحوادث والتصرفات الفردية؛ وإنما هو كل عام، بمعنى أنه يتأثر بالمجتمعات ككل، ثم إن هذه النظرية لا ينحصر تطبيقها على زمان ومكان معينين؛ وإنما ينسحب على جميع الأمكنة والأزمنة.

لقد درس ابن خلدون في مقدمته الكثير من العلوم على اختلافها، كعلوم الشريعة، والجغرافية، والسياسة، وال عمران، والاجتماع، من غير أن يتناسى أحوال الناس وطبائعهم، وقد قسم كتابه "المقدمة" إلى ستة أبواب: الباب الأول: كان في العمران البشري، رأى فيه أن التعاون بين البشر مسألة مهمة لا مناص منها، حيث أن أساس بقاء الإنسان وتحصيله للطعام لا يعتمد على فرد واحد بل على الجماعة.

كما ربط بين درجة الحرارة وبناء المجتمع ربطاً وثيقاً، فالمناطق الحارة على سبيل المثال يصعب العيش وال عمران فيها، أما المناطق الباردة والمعتدلة نسبياً فهي أكثر ملاءمة للمعيشة ولبناء الحضارة.

ال باب الثاني: يرى ابن خلدون في هذا الباب أن بناء الحضارة يبدأ بتوفير الغذاء والملبس والسكن، ومن ثم يأتي التفرغ للزينة والتأمل، ثم يوضح فكرة أن البدو يكتفون بضروريات العيش خلاف ما تبحث عنه المدن من الكماليات.

أما النسب عند ابن خلدون فهو يمتد لحدود أربعة فقط، وما قبل ذلك مجرد اعتزاز لا أساس به، لأن مكارم الأخلاق لا تنتقل بالوراثة والدم. ويقول في هذا الباب: إن الأمم التي اعتادت الكسل وعدم الجِد سهل التمكن منها و من ثم من حكمها.

ال باب الثالث: يرى فيه ابن خلدون أن كل نظام جديد لا بد أن يواجه في بدايته مصاعب جمّة، وذلك لأن النفس البشرية لم تعد عليه، ولكن مع مرور الزمن ستعتاد عليه وتتقبله.

ثم يؤكد على أن الدول والأمم تصاب بالهوان عادة إذا ما ثبت الحاكم فيها فترة طويلة، ففي بداية الأمر مع استقرار حكم الحاكم الجديد سيفقد حماسه في شعبه ورعيته، وهذا ما سيمهد لظهور الفساد، وإن استمراره لفترة طويلة لا بد وان يزيد الهوة بين الأغنياء والفقراء، لذلك ستخرج أجيالاً غير فاعلة.

أما الترف في الدول فهو دليل على تقدمها شريطة أن يحسن استخدامه، وإلا سيكون سبباً في سقوطها. الباب الرابع: يقول ابن خلدون فيه: إن فساد الفرد الواحد ينشر فساداً بين أفراد مجتمعه ومحيطه إلى أن يتكاثر ذلك الفساد وينتقل شيئاً فشيئاً في أنحاء المدينة حتى يصل إلى حاكمها. من مثل البعد عن الدين والترف والبذخ وطاعة الشهوات وغلاء الأسعار.

ال باب الخامس: ذكر ابن خلدون في هذا الباب: إن اختلاف الأعمال وتنوعها يفضي إلى زيادة في الكسب لجميع أهل البلد، ثم تحدث عن العلاقة الوثيقة بين المال والجاه، ليخلص إلى أن صاحب المال فقط تحل مشكلاته على المقدار الذي يملكه من المال؛ غير أن صاحب المال والجاه فإن أموره تسير بكل يسر وسهولة وستكون فرصته في الاستثمار أكبر.

وأما عن علاقة رجال الدين بالمال والثروة، فيرى ابن خلدون أن رجل الدين ينبغي ألا يكون صاحب ثروة، وذلك لأنه داع صاحب منهج توعوي، أما مقدار الدخل فإنه يأتي على مقدار العمل وأهميته. لذلك فإن بعض رجال الدين ذوي الغناء الفاحش هم من يستغلون دعوتهم لتحقيق مآربهم وكسب المال.

ال باب السادس: يرى صاحب المقدمة في هذا الباب أن الإنسان إنما يتميز عن الحيوان بالفكر؛ الذي تنتج عنه كل أنواع العلوم، ومن أهم شروط تكامل الإنسان هو اكتسابه العلم والمعرفة معاً.

لقد قسم ابن خلدون العلوم قسمين: الأول طبيعي يهتدي إليه الإنسان من خلال فكره، والثاني يتم يعتمد على الأخذ والنقل وليس على الفكر والعقل.

ولعل أهم ما جاء عليه ابن خلدون في هذه المقدمة دراسته المستفيضة لتطور الحضارة ونشوء الدول وانهايتها، حيث أتى -من خلال هذه المقدمة- على كثير من الأسباب التي أثرت في بناء الحضارة وال عمران.

**الكلمات المفتاحية:** اللغة العربية وبلاغتها، ابن خلدون، الحضارة، العمران، تطوُّر، انهايار.

## İBN HALDÛN'A GÖRE MEDENİYETİN GELİŞİMİ VE ÇÖKÜŞÜ

### Öz

Çalışma İbn Haldûn'un, medeniyetin gelişimi ve çöküşü açısından teorisini ele almaktadır. El- Mukaddime adlı eseri analiz eden kişi İbn Haldûn'un medeniyet mefhumu için net bir çerçeve çizip yeni bir teori geliştirdiğini görecektir. Bütün bunlar medeniyetin oluşum ve gelişim sürecini ile onu sarmalayan gerileme nedenlerini hassasiyetle takip edip analiz etmesiyle gerçekleşmiştir. İbn Haldûn sosyoloji biliminde şehirleşme teorisi gibi son derece önemli bir felsefe geliştirmiştir. Zira teorisinde, insan topluluklarının sınırlı ve disiplinli kurallara göre hareket ettiğini açıklamıştır. Bu kanunlar okunup doğru bir şekilde anlaşıldığında, gelecekte, medeniyetin gelişim ve çöküşünü bilme açısından büyük ölçüde kapı aralayacaktır. Çalışmada ilk evvel medeniyetin sözlük ve terim anlamlarını ele alınmıştır. Zira birçok düşünür, medeniyetin, toplumda olan bilimsel, edebî, sanatsal ve aynı zamanda sosyal hayatın bir tezahürü olduğunu belirtirken, bütün Arapça sözlükler de kültürün, bedeviliğin zıttı olan şehirleşmenin bir parçası olduğunu kaydetmiştir. Çalışma aynı zamanda İbn Haldûn'un düşüncesinin oluşmasında büyük bir etkiye sahip olan hayatı ve geçirmiş olduğu dönemleri de içermektedir. Çalışmanın ikinci kısmı kültür ve medeniyetin gelişmesine yol açan faktörler İbn Haldûn'un bakış açısıyla ele alınmıştır. Bu faktörlerin en önemlileri ise, (Doğal coğrafi faktörler, bedevilikten medeniyete geçiş, siyaset, doğal kaynaklar ve adalet)tir. Çalışma aynı zamanda medeniyetin çöküşüne neden olan önemli sebepleri de ele almaktadır. (Arapların şehirlerde hâkimiyeti, yönetimi kontrol altında tutmaları, ülkenin ikiye bölünmesi, zulüm ve medeniyeti etkisinde bırakan sonuçları, medeniyet, şehirleşmenin zirvesi ve başlangıcının da sonudur) gibi nedenler de medeniyetin çöküşünün sebeplerindedir.

### Özet

Makale, Mukaddime'nin sahibi İbn Haldûn'un felsefesi açısından medeniyetin gelişimi ve gerilemesini incelemektedir. El- Mukaddime adlı eseri analiz eden kişi İbn Haldûn'un medeniyet mefhumu için net bir çerçeve çizip yeni bir teori geliştirdiğinin farkına varacaktır. Bütün bunlar medeniyetin oluşum ve gelişim sürecini ile onu sarmalayan gerileme nedenlerini hassasiyetle takip edip analiz etmesiyle meydana gelmiştir. İbn Haldûn sosyoloji biliminde şehirleşme teorisi gibi son derece önemli bir düşünce geliştirmiştir. Bundan dolayı felsefesinde, toplumların sınırlı ve disiplinli kurallara göre hareket ettiğini açıklamıştır. Bu kanunlar okunup doğru bir şekilde anlaşıldığında, gelecekte, medeniyetin gelişim ve çöküşünü bilme açısından büyük ölçüde ip ucu verecektir.

Makalede ilk evvel medeniyetin sözlük ve terim anlamları ele alınmıştır. Zira birçok düşünür, medeniyetin, bilimsel, edebî, sanatsal ve aynı zamanda sosyal hayatın bir tezahürü olduğunu belirtirken, bütün Arapça sözlükler de kültürün, bedeviliğin zıttı olan şehirleşmenin bir parçası olduğunu kaydetmiştir. Çalışma aynı zamanda İbn Haldûn'un düşüncesinin oluşmasında büyük bir etkiye sahip olan hayatı ve geçirmiş olduğu dönemleri de içermektedir.

Çalışmanın ikinci kısmı kültür ve medeniyetin gelişmesine yol açan faktörler İbn Haldûn'un perspektifinden ele alınmıştır. Bu etkenlerin en önemlileri ise, coğrafi faktörler, bedevilikten medeniyete geçiş, siyaset, doğal kaynaklar ve adalettir. Çalışma aynı zamanda medeniyetin çöküşüne neden olan önemli sebepleri de ele almaktadır. Arapların şehirlerde hâkimiyeti, yönetimi kontrol altında tutmaları, ülkenin ikiye bölünmesi, zulüm ve medeniyeti etkisinde bırakan sonuçları gibi nedenler de medeniyetin çöküşünün sebeplerindedir.

İbn Haldûn'un, toplumların kesin ve belirli yasalara dayanarak yaşadığını belirttiğinden dolayı, sosyolojide son derece önemli olan şehircilik teorisini tesis etmiştir.

Bu kanun ve yasalar doğru bir şekilde öğrenilip anlaşıldığında çevreciliğin gelecekteki gelişimi ve çöküşü hakkında büyük oranda kapı aralayacaktır. Ona göre şehircilik bilimi ferdi davranışlarla etkilenmeyen bilakis toplumlarla değişen bir bilimdir. Çevrecilik teorisi belli bir zaman ve mekâna bağlı kalmadan her zaman ve her yer için tatbik edilen bir teoridir.

İbn Haldûn Mukadimesinde şeriat, coğrafya, siyaset, şehircilik, sosyoloji gibi farklı ilim dallarından bahsetmiş, insan tabiat ve hallerini de kitabına eklemiştir. Mukadime adlı eserini altı bölüme ayırmıştır.

Birinci bölümde toplum şehirleşmesinden söz etmektedir. Toplumda bir arada yaşayan insanlar arasında yardımlaşmanın çok önemli bir mesele olduğunu aktarmıştır. Örnek olarak insanın hayatta kalabilmesi, yiyecek elde etmesi sadece bir kişi ile değil belli bir grup çalışması ile elde edilebilir. Bir bölgenin sıcaklık derecesi ile toplum yapısı arasında sıkı bir bağ olduğunu vurgulayan İbn Haldûn, sıcak bölgelerde yaşamın ve bina inşâ etmenin zor olduğunu, serin ve soğuk bölgeler ise yaşam ve kültürel inşânın oluşmasında daha elverişli yerler olduğunu ifade etmiştir.

İkinci bölümde ise İbn Haldûn medeniyet inşasının yiyecek giyecek ve barınma imkânlarını sağlamakla başladığını aktarmıştır. Ziyet ve süse dair eylemleri ise medeniyetin inşası noktasında ikincil planda olduğunu vurgulamıştır. İbn Haldûn daha sonra şehirliğin aradığı tüm imkânların aksine bedevilerin, yaşamlarını sürdürebilecek kadar gereksinimlerle iktifa ettiklerini açıklamıştır.

İbn Haldûn'a göre soy, sadece dört büyükbaba ve büyükanneye kadar ulaşır, bunlardan önce yaşayanlar sadece bir övünçten ibarettir. Çünkü güzel ahlak veraset ve kan yoluyla geçmez. Ayrıca bu bölümde şunları da aktarır: Tembellik ve gevşekliği adet haline getiren toplumlar ve yöneticiler üzerine hâkimiyet kurmak kolaydır.

Üçüncü bölümde her kurulan yeni sistemin ve nizamın başlangıçta birçok zorluklarla karşılaşması gerektiğini öngörmüştür. Çünkü insan psikolojisi buna alışmamış, fakat zaman içerisinde buna alışacağını ve kabul edeceğini ifade etmiştir.

Daha sonra, yöneticilerinin çok uzun zaman iktidarda kalan devletler ve toplumların aşâğılanmaya maruz kaldıklarını, ayrıca halkına karşı da coşkunluğunu kaybedeceğini vurgulamıştır. Bütün bu durumlar fesadın ortaya çıkmasına kapı aralamaktadır. Uzun sürede iktidarda kalması zengin ve fakir arasında ki uçurumun da daha fazla açılmasına yol açacağından aktif olmayan bir neslin ortaya çıkmasına neden olmaktadır. Ülkelerde görülen konfor ve lüks hayat doğru şekilde kullanılmasına şartıyla o ülkenin gelişmişliğinin delilidir. Aksi takdirde çöküşüne neden olacaktır.

Dördüncü bölümde İbn Haldun şunları söyler: Tek bir kişi fitne ve fesadını çevresine ve toplumun bireyleri arasına yayabilir. Hatta şehri yöneticisine varana kadar yavaş yavaş bütün şehirde yayılır. Dinden uzaklaşma, konfor, lüks ve savurganlık nefsin şehvi arzularına uyma ve yüksek fiyatlar gibi.

İbn Haldûn beşinci bölümde şunları söyler: İşlerin farklı ve çeşitli olması tüm ülke halkının kazancında artışa neden olan bir durumdur. Daha sonra mal ve prestij arasındaki derin ilişkiye dikkat çekmiş, sadece mala sahip olanın, sahip olduğu mal oranında işlerinin hallolduğunu ifade etmiştir. Ancak hem mala hem de prestije sahip olanların ise işleri hemen ve kolaylıkla hallolduğunu, yatırım fırsatlarının daha büyük olduğunu kaydetmiştir.

Din adamlarının mal ve servetle olan ilişkisine değinen İbn Haldûn, din adamının davet eri ve bilinçli bir eğitim metoduna sahip olduğundan servet sahibi olmaması gerektiğini söyler. Gelir miktarının ise işin miktar ve önemine göre değişkenlik gösterdiğini ifade eder. Bundan dolayı bazı zengin din adamları, mal kazanmak ve emellerine ulaşmak için tebliğ vazifelerini istismar etmişlerdir.

İbn Haldûn Mukadimesinin altıncı bölümünde insanın, bütün ilimlerin ortaya çıkmasının bir sonucu olan düşüncesi ve fikri ile hayvandan ayrıldığını söyler. İnsanın tekâmül şartlarının en önemlisi ilim ve marifeti birlikte elde etmesidir.

İbn Haldûn ilimleri iki kısma ayırmıştır. Birincisi insanın kendi düşüncesi ile kendisine ulaştığı tabii ilim. İkinci ise akıl ve düşünceye değil nakle bağlı olan ilimdir.

**Anahtar Kelimeler:** Arap Dili ve Belağatı, İbn Haldûn, Medeniyet, Şehirleşme, Gelişim, Çöküş.

## THE DEVELOPMENT AND COLLAPSE OF CIVILIZATION ACCORDING TO IBN KHALDUN

### Abstract

The paper presents Ibn Khaldun's theory of civilization in terms of development and collapse. Those who follow Ibn Khaldun's introduction must find that he has excelled in building a theory for the concept of civilization. He established a theory in sociology of great importance, namely the theory of urbanism. In this theory, he explained that human communities act according to limited and disciplined rules. When these laws are read and understood correctly, they will open the door to a great extent in terms of knowing the development and collapse of civilization in the future.

The research first deals with the definition of civilization (both in terms of language and convention), as Arab dictionaries have unanimously agreed that civilization is a state of civilization against nomadism, while many scholars have argued that it is a set of scientific, literary, artistic, as well as social aspects that exist in society, The research also dealt with the conversation about Ibn Khaldun's life and the stages he went through, as it had the greatest influence in building his theory, while the second section of this research dealt with the most important causes and factors that led to the development of civilization. One of the most important of these factors were: Geographical natural factors, the transition from nomadism to urbanism, politics, wealth, and justice. The research was also discussed the most important reasons that lead to the collapse and fall of civilization, and among these reasons were: the predominance of Arabs over homelands, the control of the nature of ownership, the division of the states, injustice and the resulting impact on civilization.

### Summary

The paper presents Ibn Khaldun's theory of civilization in terms of development and collapse. Those who follow Ibn Khaldun's introduction must find that he has excelled in building a theory for the concept of civilization. Established a theory in sociology of great importance, namely (the theory of urbanism), as he showed that human societies are based on precise and specific laws, and these laws It opens the door to a great deal of prediction for the future in terms of the development and collapse of civilizations, if properly studied and understood.

The research first deals with the definition of civilization (both in terms of language and convention), as Arab dictionaries have unanimously agreed that civilization is a state of civilization against nomadism, while many scholars have argued that it is a set of scientific, literary, artistic, as well as social aspects that exist in society, The research also dealt with the conversation about Ibn Khaldun's life and the stages he went through, as it had the greatest influence in building his theory, while the second section of this research dealt with the most important causes and factors that led to the development of civilization from Ibn Khaldun's point of view, and one of the most important of these factors was : (Geographical natural factors, the transition from nomadism to urbanism, politics, wealth, and justice). The research also discussed the most important reasons that lead to the collapse and fall of civilization, and among these reasons were: the predominance of Arabs over homelands,

the control of the nature of ownership, the division of the state To two states, injustice and the resulting impact on civilization, and civilization is the end of urbanization and the beginning of its end.

It is worth noting that Ibn Khaldun foundations for a theory in sociology of great importance, namely (the theory of urbanism), as he showed that human societies are based on precise and specific laws, and these laws open the way for a great deal of prediction for the future in terms of the development of civilizations and their collapse if It has been properly studied and understood, for its science of architecture is not affected by individual incidents and behaviors. Rather, it is a general whole, meaning that it is affected by societies as a whole, and then this theory is not limited to its application to a specific time and place. It applies to all places and times.

In his introduction, Ibn Khaldun studied many different sciences, such as the sciences of Sharia, geography, politics, urbanism, and sociology, without forgetting about the conditions: and natures of people. He divided his book "Introduction" into six chapters

The first chapter: It was in human construction, in which he saw that cooperation between human beings is an important and unavoidable issue, as the basis for human survival and food attainment does not depend on one individual but on the group

He also linked temperature and community building closely. Hot areas, for example, are difficult to live and build in, while relatively cold and temperate regions are more suitable for living and building civilization.

Chapter Two: Ibn Khaldun believes that building civilization begins with providing food, clothing and housing, then devotion to adornment and contemplation comes, and then he clarifies the idea that the Bedouins are satisfied with the necessities of living other than the luxuries that cities are looking for.

As for the lineage, according to Ibn Khaldun, it extends to four grandparents only, and before that is just a pride that has no basis, because the honor of morals is not transmitted by heredity and blood. And he says in this section: The nations that are accustomed to laziness and lack of stubbornness are easy to gain control over them and thus their rule.

The third chapter: Ibn Khaldun believes that every new system must face many difficulties at its beginning. This is because the human soul has not got used to it, but with the passage of time it will get used to it and accept it.

Then he affirms that states and nations usually suffer humiliation if the ruler remains in them for a long time. At the beginning of the matter, with the establishment of the rule of the new ruler, he will lose his enthusiasm in his people and his subjects, and this will pave the way for the emergence of corruption, and that its continuation for a long period must increase the gap between the rich and the poor. Inactive generations will emerge.

As for the luxury in the countries, it is a sign of its progress, provided that it is used well, otherwise it will cause its downfall.

Chapter Four: Ibn Khaldun says in it: The corruption of a single individual spreads his corruption among the members of his community and his surroundings until that corruption multiplies and moves bit by bit across the city until it reaches its ruler. Such as distance from religion, luxury, extravagance, obedience to desires and high prices.

Chapter Five: The difference and diversity of business leads to an increase in earnings for all the people of the country, then he spoke about the close relationship between money and prestige, to conclude that only the owner of the money solves his problems on the amount of money he owns. The affairs of owner of money and prestige, are going smoothly and his chances of investing will be greater.

As for the relationship of clerics with money and wealth, Ibn Khaldun believes that

the cleric should not be the owner of wealth, because he called for an educational approach, and the amount of income depends on the amount of work and its importance. Therefore, some men of religion with wealth are the ones who take advantage of their clerical position.

Chapter Six: The author of the introduction in this chapter believes that man is distinguished from animals by intellect, which results from all kinds of sciences, and one of the most important conditions for human integration is his acquisition of knowledge and knowledge together.

Ibn Khaldun divided the sciences into two parts: the first is natural, to which a person can be guided through his thought, and the second is based on the introduction and transfer and not on the intellect and reason.

Perhaps the most important thing that Ibn Khaldun came to in this introduction was his extensive study of the development of civilization and the emergence and collapse of states, where he came - through this introduction - on many of the reasons that affected the building of civilization and urbanization.

**Keywords:** Arabic Rhetori, Ibn Khaldun, Civilization, Urbanization, Evolution, Collapse.

## مخطط البحث

هيكلية البحث

المقدمة

أولاً: 1. الحضارة لغة واصطلاحاً

أ. الحضارة لغة

ب. الحضارة اصطلاحاً

2. نسب ابن خلدون

3. المراحل التي مرَّ ابن خلدون بها في حياته

4. الحياة الاقتصادية والاجتماعية في عصر ابن خلدون

5. الحياة الثقافية والسياسية في عصر ابن خلدون

ثانياً: تطوّر الحضارة واختيارها عند ابن خلدون

1. الأسباب المؤثرة في بناء الحضارة

أ. العوامل الطبيعية الجغرافية

ب. الانتقال من البداوة إلى الحضرة

ج. السياسة وتأثيرها على الحضارة وال عمران

د. الثروة ودورها في الحضارة وال عمران

هـ. العدل ودوره في عمران الحضارة

2. أسباب اختيار الحضارة وال عمران عند ابن خلدون

أ. غلبة العرب على الأوطان

ب. التحكم بطبيعة الملك من الانفراد بالمجد وحصول الترف والدعة

ج. انقسام الدولة الواحدة إلى دولتين

د. الظلم



هـ. الحضارة غاية العمران وبداية نهايته

الخاتمة

المصادر والمراجع

### هيكلية البحث

قُسِّمَ البحثُ إلى مقدمة تتحدّث عن فضل ابن خلدون في إرساء نظرية الحضارة، ثم جاء التمهيد ليتوقّف على تعريف للحضارة (لغةً واصطلاحاً)، وبعد ذلك انتقلتُ إلى الحديث عن نسب ابن خلدون، لأعرِّج على المراحل التي مرّ بها في حياته والتي كان لها تأثير كبير في تأسيس هذه النظرية، من ثم انتقلتُ إلى الحديث عن أهم الأسباب والعوامل التي أدت إلى تطوُّر الحضارة والعمران — من وجهة نظره — لأختتم الحديث عن الأسباب والعوامل التي لعبت دوراً كبيراً في انخيار الحضارة وزوالها.

### المقدمة

لقد أسس ابنُ خلدون نظريةً لمفهوم الحضارة، نحل منها الكثير ممن تبعه وبنى على أسسها، إذ حظيت الحضارة عنده — كأسلوب للحياة — بقسط وافر من الاهتمام في كتاباته التي تناول فيها بالدراسة والاستقصاء تاريخ الشعوب ونظرية الكائن الحي؛ والتي ركّز فيها بصورة فريدة ومميزة عن كل من سبقه أو من جاء بعده من المؤرّخين المسلمين على مختلف جوانب الحياة ومظاهرها المتعددة في المجتمعات البشرية عامّة، وفي العالم الإسلامي بصورة خاصّة.

وربما نضع يدنا على عين الحقيقة إذا ذهبنا إلى أن هذا المفكر العربي كان من أكثر المساهمين في الربط بين صنّاع الحضارة وأهل المدن برباط وثيق، حتى غدا لكلمة الحضارة عنده مدلول العمران نفسه الذي يقوم بالأساس على تمتع سكان المدينة بالقدر الأكبر من الثروة، وبالنصيب الأوفى من السلطان، وهي كما يرى ابن خلدون أهم الأسباب وأقواها التي تساعد على تطوُّر المجتمعات وتقدّمها في سيرورتها البشرية. لكن بادئ ذي بدء، وقبل أن نسبر أغوار هذا البحث لا بد أن نعرِّج على أمرين: أولهما تعريف للحضارة كما ورد في بعض المعاجم العربية، وثانيهما التعريف بابن خلدون.

### أولاً: 1. الحضارة لغة واصطلاحاً

أ. الحضارة لغة

جاء في لسان العرب<sup>(1)</sup> في مادة (حَضَرَ):

الحُضُورُ نقيضُ الغَيْبِ والغَيْبَةُ حَضَرَ يَحْضُرُ حُضُوراً وحِضَارَةً... والحَضْرُ خلافُ البَدْوِ والحاضِرُ خلافُ البادي... الحاضِرُ المقيمُ في المَدْنِ والقَرْيِ والبادي المقيمُ بالبادية... ويقالُ فلان من أهل الحاضرة وفلان من أهل البادية وفلان حَضْرِيٌّ وفلان بَدْوِيٌّ والحِضَارَةُ الإقامة في الحَضْرِ عن أبي زيد وكان الأصمعي يقول الحِضَارَةُ بالفتح قال القطامي:

فَمَنْ تَكُنِ الحِضَارَةُ أُعْجِبْتَهُ فَأَيُّ رِجَالِ بَادِيَةٍ تَرَانَا

<sup>1</sup> - ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، 1414)، "حضر"، 4/196.

والْحَضْرُ وَالْحَضْرَةُ وَالْحَضِرَةُ خلاف البادية وهي المَدُنُ وَالْقَرْىُ وَالرِّيفُ سميت بذلك لأن أهلها حَضَرُوا الْأَمْصَارَ وَمَسَاكِنَ الدِّيارِ التي يكون لهم بها قَرَارٌ .....

في القاموس المحيط<sup>(2)</sup>:

حَضَرَ، كَنَصَرَ وَعَلِمَ، حُضُورًا وَحَضْرَةً: ضِدُّ غَابَ، وَالْحَضْرَةُ وَالْحَضِرَةُ وَالْحَضْرَةُ، وَيَفْتَحُ: خِلَافَ الْبَادِيَةِ، وَالْحَضْرَةُ: الْإِقَامَةُ فِي الْحَضَرِ.

في المعجم الوسيط<sup>(3)</sup>:

(الْحَضْرَةُ) الْقَوْمُ الْحُضُورُ وَحاضِرَةُ الشَّيْءِ الْقَرِيبَةُ مِنْهُ وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ {وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَيْحَرِ} وَخِلَافَ الْبَادِيَةِ وَهِيَ الْمَدِينُ وَالْقَرْيُ وَالرِّيفُ وَالتَّجَارَةُ الْحَاضِرَةُ مَا يُبَاعُ نَقْدًا يَدًا بِيَدٍ وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ {إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ} (ج) حواضر.

(الحضارة) الْإِقَامَةُ فِي الْحَضَرِ.... ضد البداوة وهي مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني ومظاهر الرقي العلمي والفني والأدبي والاجتماعي في الحضر.

فالحضارة إذًا: كما أجمعت المعاجم العربية، هي حالة من التمدن ضد البداوة.

#### ب. الحضارة اصطلاحاً

للفلاسفة والدارسين اجتهادات شتى في تعريفهم للحضارة، فمنهم من ذهب إلى أن الحضارة والثقافة إنما هما اصطلاحان لمسمى واحد، على أن آخرين ذهبوا إلى أنهما مختلفان، وذلك أن الحضارة تقتصر على التقدم المادي، في حين أن الثقافة إنما تقتصر على الفكر والعقائد<sup>(4)</sup>، أما ابن خلدون فيرى أن الحضارة هي تفتن في الترف واستجادة أحواله والكلف بالصنائع المختلفة التي تنقل الناس من حالة البداوة إلى حالة التحضر<sup>(5)</sup>.

على ذلك يمكننا أن نخرج بتعريف جامع لمصطلح الحضارة بأنها: مجموعة المظاهر العلمية، والأدبية، والفنية، وكذلك الاجتماعية، الموجودة في المجتمع.

تعتمد الحضارات الإنسانية المختلفة على بعضها البعض، فكل حضارة تأتي متممة للحضارة التي سبقتها، وتسهم هذه الحضارات في البناء الحضاري للإنساني العالم بأكمله، فالحضارة الإغريقية وغيرها من الحضارات القديمة تميّزت بوضع أساسات البناء الحضاري، لتأتي بعدها الحضارة الإسلامية التي استفادت من سابقتها فأضفت عليها من روحها لتنشأ حضارة جديدة بلبوس إسلامي، ومن ثم جاء الأوروبيون فطوروا هذا البناء الحضاري.

2 - مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، (بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، 2005/1426)، "حَضَرَ"، 376.

3 - إبراهيم مصطفى، وآخرون، مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، (القاهرة: دار الدعوة، د. ت.) "حَضَرَ"، 180.

4 - ينظر: محمد عطية عطية، مقدمة في الحضارة الإسلامية ونظمها، (عمّان: جامعة عمان الأهلية، اتحاد الكتاب والأدباء الأردنيين، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، 2011)، 14.

5 - ينظر: ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبطه: خليل شحادة، راجعه: سهيل زكار (بيروت: دار الفكر، 2001)، 465.

## 2. نسب ابن خلدون

ابن خلدون (732-808هـ = 1332-1406م):

عبد الرحمن بن محمد بن خلدون أبو زيد، وليّ الدين الحضرميّ الإشبيلي، من ولد وائل بن حجر، الفيلسوف المؤرخ، العالم الاجتماعيّ البحّاث، أصله من إشبيلية، ومولده ومنشؤه بتونس، رحل إلى فاس وغرناطة وتلمسان والأندلس، وتولّى أعمالاً، واعترضته دسائس ووشايات، وعاد إلى تونس، ثمّ توجّه إلى مصر فأكرمه سلطانها الظاهر بروق، ووليّ فيها قضاء المالكية، ولم يتزوّج بزويّ القضاة محتفظاً بزويّ بلاده، وعُزل، وأُعيد، وتوّي فجأة في القاهرة، كان فصيحاً، جميل الصورة، عاقلاً، صادق اللهجة، عزوفاً عن الضييم، طامحاً للمراتب العالية، ولما رحل إلى الأندلس اهتزّ له سلطانها، وأركب خاصته لتلقيه، وأجلسه في مجلسه .

اشتهر بكتابه العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر (طبع) في سبعة مجلدات)، أوّلها (المقدمة (وهي تعد من أصول علم الاجتماع، ترجمت هي وأجزاء منه إلى الفرنسية وغيرها، وحتم «العبر» بفصل عنوانه ( التعريف بابن خلدون ( ذكر فيه نسبه وسيرته وما يتصل به من أحداث زمنه ثم أفرّد هذا الفصل، فتبسّط فيه، وجعله ذيلًا للعبر، وسماه التعريف بابن خلدون، مؤلف الكتاب، ورحلته غربًا وشرقًا، ومن كتبه) شرح البردة) وكتاب في الحساب، ورسالة في المنطق، و شفاء السائل لتهذيب المسائل، وله شعر .

تناول كتاب من العرب وغيرهم سيرته وآراءه في مؤلفات خاصة، منها (حياة ابن خلدون ( لمحمد الخضر بن الحسين، و)فلسفة ابن خلدون ( لظه حسين، و)دراسات عن مقدمة ابن خلدون ( لساطع الحصري، و)ابن خلدون، حياته وتراثه الفكري ( لمحمد عبدالله عنان، و)ابن خلدون ( ليوحنا قمير، ومثله لعمر فروخ<sup>(6)</sup> .

## 3. المراحل التي مرّ ابن خلدون بها في حياته

مرّ ابن خلدون بأربع مراحل<sup>(7)</sup> أثّرت في نتاجه العلمي وأثّرت به أيضًا ثراء، فكانت كل مرحلة تمتاز بسمات خاصة في نشاطه العلمي .

المرحلة الأولى (مرحلة النشأة والتلمذة والتحصيل العلمي): تمتد هذه المرحلة من ميلاده سنة 732 هـ لغاية سنة 751 هـ ، وتستغرق قرابة عشرين عامًا، حيث قضاه كلها في مسقط رأسه بتونس، وقضى منها نحو خمسة عشر عامًا في حفظ القرآن وتجويده بالقراءات والتلمذة على الشيوخ وتحصيل العلوم .

المرحلة الثانية) مرحلة الوظائف الديوانية والسياسية): تمتد من أواخر سنة 751 هـ إلى أواخر سنة 776 هـ، وتستغرق قرابة خمسة وعشرين عامًا، قضاه متنقلًا بين بلاد المغرب الأدنى والأوسط والأقصى وبعض بلاد الأندلس، وقد استأثرت الوظائف الديوانية والسياسية بمعظم وقته وجهوده في أثناء هذه المرحلة.

المرحلة الثالثة ( مرحلة التفرغ للتأليف): وتمتد من أواخر سنة 776 هـ إلى أواخر سنة 784 هـ، وتستغرق نحو ثماني سنين، قضى نصفها الأول في قلعة ابن سلامة ونصفها الأخير في تونس، وقد تفرغ في هذه المرحلة تفرغًا كاملاً لتأليف (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر).

<sup>6</sup> - ينظر: خير الدين الزركلي، الأعلام ( د . م . : دار العلم للملايين، 2002)، 3/330.

<sup>7</sup> - ينظر: علي عبد الواحد وافي، مقدمة ابن خلدون، ( القاهرة، دار نهضة مصر للنشر، 2012)، 27.

ويطلق الآن على القسم الأول من هذا الكتاب اسم مقدمة ابن خلدون، وهو يشغل مجلداً واحداً من سبعة مجلدات يشغلها هذا الكتاب بحسب طبعة بولاق، ولم يستغرق تأليف هذا القسم في وضعه الأول إلا خمسة أشهر فحسب .

المرحلة الرابعة (مرحلة وظائف التدريس والقضاء): وتمتد من أواخر سنة 783 هـ إلى أواخر سنة 808 هـ، وتستغرق قرابة أربع وعشرين سنة قضاها كلها في مصر؛ وقد استأثرت وظائف التدريس والقضاء بأكبر قسط من وقته وجهوده أثناء هذه المرحلة.

امتاز ابن خلدون بتقسيه في البحث وبسعة اطلاعه على ما كتبه الأقدمون، كما اتسم بقدرته على استعراض الآراء وتفنيدها ونقدها، وقد امتاز أيضاً بدقة الملاحظة فضلاً عن حرية في التفكير وإنصاف لأصحاب الآراء التي تخالف رأيه، "وقد اعتقد عدة علماء - بين مستشرقين وفلاسفة - نقدوا ابن خلدون أن ذلك المفكر الذي ظهر في القرون الوسطى قد سبق منذ القرن الرابع عشر المذهب الحديث التي ترمي إلى جعل التاريخ علماً لا فناً أدبياً"<sup>(8)</sup>.

كان خبرة ابن خلدون في الحياة (السياسية والإدارية) وفي القضاء، إلى جانب أسفاره ورحلاته الكثيرة في شمال إفريقية وغربها وإلى مصر والحجاز والشام الأثر البالغ في كتاباته من حيث الموضوعية والعلمية التي انتهجها في كتابته عن التاريخ، ليصل به المطاف إلى طرح مسألتين غاية في الأهمية إنهما العمران والحضارة، أو الاجتماع البشري فعالجهما كظاهرتين بشريتين بشكل متكامل، فهذا العلم «الذي يسميه بالعمران أو الاجتماع البشري هو علم لم يوجد قبله في التفكير الإسلامي، بل لم يوجد في التفكير القديم كله، إذا استثنينا بعض ما خلفه الفلاسفة اليونان ولاسيما أرسطو عن نظم الدولة والمجتمع»<sup>(9)</sup>.

فابن خلدون الذي ولد في تونس سنة 1332 للميلاد عاش لحظة أزمة عالمية تتطلب التفكير العميق في التحول الحاصل من جرائها، ولذا تبرز مسؤوليته في إعادة كتابة التاريخ كضرورة ملحة، يقول «وقد كدنا أن نخرج عن غرض الكتاب بالإطناب في هذه المغالط فقد زلت أقدام كثير من الأنبيات والمؤرخين الحفاظ في مثل هذه الأحاديث والآراء وعلقت أفكارهم ونقلها عنهم الكافة من ضعف النظر والغفلة عن القياس وتلقوها هم أيضاً كذلك من غير بحث ولا روية واندرجت في محفوظاتهم حتى صار فن التاريخ واهياً مختلطاً، وناظره مرتبكاً، وعدد من مناحي العامة، فإذا يحتاج صاحب هذا الفن إلى العلم بقواعد السياسة وطبائع الموجودات واختلاف الأمم والبقاع والأعصار في السير والأخلاق والعوائد والنحل والمذاهب وسائر الأحوال والإحاطة بالحاضر من ذلك ومماثلة ما بينه وبين الغائب من الوفاق أو بون ما بينهما من الخلاف وتعليل المتفق منها والمختلف والقيام على أصول الدول والملل ومبادئ ظهورها وأسباب حدوثها ودواعي كونها وأحوال القائمين بها وأخبارهم»<sup>(10)</sup>.

من هنا، يتبين السبب الكامن وراء إعادة قراءة فكر ابن خلدون متمثلاً في استقلاله عن غيره من العلماء المسلمين عند تحديد مفهومي الحضارة والعمران من وجهة نظر معرفية إسلامية، وذلك من خلال

8 - وافي، مقدمة ابن خلدون، 31.

9 - محمد عبد الله عنان، ابن خلدون حياته وتراثه الفكري (القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، 1933/1352)،

.127

10 - ابن خلدون، المقدمة، 37.

واقع وعيه وشعوره بالأزمة من داخلها، ومن ثم تيقظ هذا الشعور بالمسؤولية للخروج منها، ومما ميز ابن خلدون أنه كان «بممارسة تحركه عبر هذا الميدان متسلحاً باثنتين كانتا تحميانه في كثير من الأحيان من التردّي والسقوط: رؤيته الدينية النافذة، وإحساسه النقدي البصير المعزّز بسعة اطلاعه على العلوم الشرعية والعقلية، وعلى حركة التاريخ البشري»<sup>(11)</sup>.

ولنلق نظرة سريعة على بعض الظروف والأحداث التي مرت في حياة ابن خلدون، فهي - بلا ريب - قد أثّرت في فكره وإنتاجه العلمي، إذ إن « لكل عصر قيمه وعاداته وطرائقه وأساليب الحياة السائدة فيه، التي تحدد ملامح حضارة هذا العصر، والتي يعكسها الإنتاج الفكري لعلمائه ومثقفيه، كما يعكس هذا الإنتاج الفكري ملامح الحضارة والعصر التي ينتمي إليها فهو أيضاً يتأثر بهما، لهذا ترتبط عملية استيعاب وفهم الإنجاز العلمي والفكري للعلامة ابن خلدون بالتعرف على ظروف عصره وملاحمه الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية»<sup>(12)</sup>.

#### 4. الحياة الاقتصادية والاجتماعية في عصر ابن خلدون

إن الحركة الاقتصادية تلعب دوراً مهماً في أي مجتمع من حيث تقدّمه وتطوُّره، فإذا عدنا إلى عصر ابن خلدون فإننا سنجد أن النشاط الاقتصادي كان شديد الراجح، وكانت القوافل التجارية في حركة دائمة لا تعرف الفتور، وهذا ما ذهب إليه ابن بطوطة عندما وصف بلاد المغرب بأنّها «أرخص البلاد، وأكثرها خيرات، وأعظمها فوائد، وبخلاف النشاط التجاري كان هناك نشاط زراعي واسع في بلاد المغرب الأقصى، وكان استثمار الأراضي للزراعة يدرُّ مدخلات طيبة، وقد انعكس هذا الرخاء الزراعي على مستوى ونوعية الحياة في تلك البلدان التي عرفت أيضاً نهضة عمرانية كبيرة أشارت كتب الرحالة إلى أبرز معالمها، ولم تقتصر النهضة العمرانية على القصور فقط ولكنها تضمنت الكثير من الطرق البرية والبحرية التي سهّلت التنقل من مكان إلى آخر»<sup>(13)</sup>.

أما اجتماعياً: فالعصر الوسيط الذي ينتمي إليه ابن خلدون لم تعرف مجتمعاته الطبقات الرأسيّة - كما هو الحال اليوم - بل كانت طبقات ومراتب وأصنافاً أفقية على طول امتداد العالم الإسلامي، فهناك طبقة الجنود وطبقة العلماء وطبقة التجار وطبقة المتصوفة... إلخ، وكان أفراد كل طبقة يتعاطفون فيما بينهم بغض النظر عن اختلاف جنسياتهم، مهما بعدت بهم المسافات وفرقت بينهم السياسات، بمعنى أن العالمية والوحدة كانتا من سمات العصر الوسيط، وهو أمر كان ملائماً لطبيعة البنية السياسية والنشاط الاقتصادي لذلك العصر<sup>(14)</sup>.

#### 5. الحياة الثقافية والسياسية في عصر ابن خلدون

لقد قدم ابن خلدون في سيرته الذاتية وصفاً كاملاً للحياة الثقافية في الغرب المسلم، حيث خصص

11 - عماد الدين خليل، ابن خلدون إسلامياً (د.م.: المكتب الإسلامي، 1983/1403)، 140.

12 - محمد الجوهري - محسن يوسف، ابن خلدون إنجاز فكري متجدد (الإسكندرية: مكتبة الإسكندرية، 2008، 20).

13 - محمد الجوهري - محسن يوسف، ابن خلدون إنجاز فكري متجدد، صفحات 20-26، نقلاً عن: الطنجي، رحلة ابن بطوطة السمتة تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: عبدالهادي التازي (الرباط: مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية رحلة ابن بطوطة، د. ت.)، 1/161.

14 - ينظر: محمد الجوهري - محسن يوسف، ابن خلدون إنجاز فكري متجدد، 20.

للسلط الفكري للبلاد جزءاً من سيرته الذاتية، وذلك للحديث عن سنوات تكوينه، مستعملاً تقاليد (الفهرسة) و(البرنامج) لوضع قائمة بأسماء الأساتذة والأعمال التي درسها تحت إشرافهم.

تتلمذ ابن خلدون على يد علماء متعددين منهم ما هو مختص بالفقه والسنة وعلوم القرآن، ومنهم من اهتم باللغة والأدب العربيين، وآخرون ركزوا على العلوم العقلية والمنطق.

لقد كانت السنة النبوية والفقه يشغلان المكانة الرئيسة والاهتمام الأول لدى العلماء، كما كان هناك ثقافة عامة تتسم بالسعة والشمول تجمع بين الاختصاصات معاً عند مختلف العلماء، أما بالنسبة للعلوم العقلية — كالرياضيات والطب وعلم الفلك — فكان هناك عدد كبير من العلماء لأيستهان به بشكل يثير الدهشة، إن العلماء الذين كانوا يحيطون بالحكام كانوا من النخبة المنتقاة لربما بسبب جاههم أو كفاءتهم، أو لربما بفضل مديح أو عظة يلقونها، ولما كان المجلس العلمي الذي يختص بالملك يوظف كمكان للسجلات الفكرية، إلا أن تلك الفترة لم تعد مناسبة للنقاشات العقائدية الكبيرة في مجال علم الكلام مثلاً أو الفلسفة أو التصوف؛ وإنما كان يجري بشكل أكثر تواضعاً لعلم الشريعة المعتدلة التي فرضت نفسها بشكل شبه توافقي.

أما عن الجانب السياسي، فقد تواصل ابن خلدون مع ملوك بني نصر في غرناطة واحتك بهم، وأرسل إلى أشبيلية لمحاورة ملوكها، كما كان مبعوثاً لمحاورة تيمورلنك في دمشق، لذلك فقد عاش دسائس السياسة ومكائدها، وقد أثر ذلك في نتاجه العلمي لتنعكس تجربته السياسية في مقدمته، غير أن حياته الدبلوماسية هذه والتي شابهها الكثير من الدسائس والمصاعب السياسية لم تصرفه عن البحث، بل على العكس من ذلك فقد "استخرج من تلك الحياة ذاتها ومن دراسته لتاريخ الإسلام ومختلف النظريات الفلسفية التي عرفها المسلمون دراسة عميقة مستفيضة فلسفة جديدة موضوعها المجتمع وتاريخه" (15).

ومن الجدير ذكره أنه «لا يمكن الفصل بين الإنجاز العلمي الذي قدمه ابن خلدون للإنسانية وبين طبيعة الحياة الثقافية والفكرية والسياسية التي عاصرها، وشكلت ملامح فكره وتكوينه العربي، فقد كان ابن خلدون تجسداً في شخصه لوحدة علمية وثقافية شملت العالم العربي الإسلامي، كما كان تجسداً في فكره لفلسفة التاريخ الإسلامي، وممثلاً لحال الثقافة العربية الإسلامية في عصر توهجها الأخير؛ حيث عاش في زمن كان العرب والمسلمون فيه ما يزالون يقودون البشرية صوب التقدم والرقي، ومن ناحية أخرى كان العصر الذي عاش فيه هو عصر التجميع، الذي أنتج الموسوعات الكبرى، عصر التوهج الأخير الذي شهد محاولات الجمع أكثر من محاولات الإبداع؛ فقد كتب النويري (نهاية الأرب في فنون الأدب)، وكتب العمري (مسالك الأبصار)، وكتب القلقشندي (صبح الأعشى)، كما كتب غيرهم مؤلفات وموسوعات ومعاجم جامعة.... ويتفق مؤرخو الفكر المغربي الأندلسي على أن القرن الثامن للهجرة الرابع عشر الميلادي، وهو العصر الذي عاش فيه ابن خلدون، كان قرناً خصباً كثير الإنتاج، عميق البحث، فهو العصر الذي عاش فيه فطاحل العلماء والفقهاء، وفحول الشعراء والأدباء» (16).

وعلى الرغم مما أكدته كتب الرحلة من ازدهار في الحركة العلمية والثقافية في عصر ابن خلدون، إلا

15 - طه حسين، فلسفة ابن خلدون الاجتماعية (تحليل ونقد) ترجمة: محمد عبد الله عنان (القاهرة: مطبعة الاعتماد بشارع حسن الأكبر بمصر، 1925/1343) 5.

16 - محمد الجوهري - محسن يوسف، ابن خلدون إنجاز فكري متجدد، 28-29.

أننا نجدها تركز أيضاً على ملامح الحياة السياسية في تلك الحقبة، تلك الملامح التي كان لها أثر كبير على «رؤية ابن خلدون الفكرية، والتي يعكسها كتاب (العبر في ديوان المبتدأ والخبر) بجميع أجزائه، ففي هذا العمل وضع ابن خلدون خلاصة تجاربه، وبرز كمؤرخ فهم التاريخ بمعناه الحقيقي الشامل الذي يتلخّص في: أن الحدث التاريخي أكبر من أن يكون حدثاً سياسياً فقط، بل هو نتيجة لتفاعل عدد من العوامل السياسية والجغرافية والاقتصادية والاجتماعية، وكذلك النفسية أيضاً، وهذا مما دعا ابن خلدون إلى الكلام عن مفهوم التاريخ على أنه أشبه بمفهوم الحضارة؛ أي: جعله تاريخاً للأمم والشعوب بدلاً من سير الملوك والأمراء وطبقات الأعيان، لهذا لا يمكن فصل رؤية ابن خلدون عن أسباب قيام الحضارات والدول وانهاؤها بمعزل عن واقع الحياة السياسية في عصره بكل تعقيداتها»<sup>(17)</sup>.

### ثانياً: تطوُّر الحضارة وانهاؤها عند ابن خلدون

الحضارة عند ابن خلدون هي «تفنن في الترف وإحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني والفرش والأبنية وسائر عوائد المنزل وأحواله، فلكل واحد منه صنائع في استجاءته والتأقُّق فيه تختصُّ به ويتلو بعضها بعضاً»<sup>(18)</sup>، أما من حيث الإطار الاجتماعي والتاريخي فقد عرّفها بأنّها الوصول إلى قمة العمران والتطوُّر الثقافي والشخصي للمجتمع، والدخول للرقى الاجتماعي الثابت، فالحضارة من وجهة نظره هي نهاية العمران، بيد أنه تأثّر في ثقافة عصره وألفاظها التي تختلف عنها الآن، وقد يكون غير دقيق أحياناً في المصطلحات والمفاهيم، ويبرز ذلك عنده في لفظ الحضارة حين يستعمل لفظ دولة بمعنى الحضارة، بيد أن ذلك عائد للمصطلحات واختلافها بين العصور، ولعله لم يكن يتصور أن تتطوّر اللغة وتختلف من عصر لآخر، ومع ذلك يُعدُّ ابن خلدون أوّل من استخدم مصطلح الحضارة بمفهومه القريب من معناه حديثاً<sup>(19)</sup>.

لقد درس ابن خلدون مفهوم الحضارة والعمران، فبيّن أسباب قيامها وتطوُّرها، محاولاً توضيح العوامل المؤدية إلى انهاؤها، فهو يذهب إلى أن الطبيعة الجغرافية تلعب دوراً مهماً في تطوُّر العمران من حيث الاختلاف في الأقاليم، فمنها المعتدلة، ومنها الحارة والباردة، ومن العوامل الأخرى التي تحدّث عنها في تطوُّر حضارة العمران، التحوُّل من البداوة إلى الحضرة، وكذلك السياسة والحكومية لمجتمع العمران، والثروة والمال اللذان يأتيان من العمل والإنتاج، ومن ثم فإنه يرى أن العدل عامل مهم في تطوُّر العمران، وأن الظلم أحد أهم أسباب الانهيار، فهو مؤدّن بخراب الحضارة، ويرى أيضاً أن من مسببات الانهيار سيطرة طريقة حياة العرب على الأوطان واستبداد الحاكم وتنعمه بالترف، فيما شبّه الحضارة والعمران بتطوُّرها بالإنسان حيث إن الوصول للقمة هو إيدان بالفساد والانهيار، فللدول أعمار كما للبشر<sup>(20)</sup>.

17 - محمد الجوهري - محسن يوسف، ابن خلدون إنجاز فكري متجدد، 34.

18 - ابن خلدون، المقدمة، 216.

19 - فاطمة الزهراء بوزياني، مفهوم الحضارة بين مالك بن نبي وابن خلدون (الجزائر: جامعة أبي بكر بلقايد، 2012)، 35.

20 - انظر: إبراهيم حسام العيسوي، "قيام الحضارات وسقوطها" ابن خلدون نموذجاً، (أيار-2014). [www.alukah.net](http://www.alukah.net)، (اطلع عليه بتاريخ 27-حزيران-2018) بتصرّف.

### الأسباب المؤثرة في بناء الحضارة I.

هناك كثير من العوامل والأسباب التي أثرت في تشكيل الحضارات وقيامها من وجهة نظر ابن خلدون، من أهم هذه العوامل:

#### أ. العوامل الطبيعية الجغرافية

لقد ذهب ابن خلدون إلى أن الطبيعة الجغرافية سبب رئيس في بناء الحضارة وتشكلها، وهذا ما تحدث عنه من خلال المقدمة الثالثة التي جاءت تحت عنوان (في المعتدل من الأقاليم والمنحرف وتأثير الهواء في ألوان البشر والكثير من أحوالهم) قائلاً: «قد بينا أن المعمور من هذا المنكشف من الأرض إنما هو وسطه لإفراط الحر في الجنوب والبرد في الشمال، ولما كان الجانبان من الشمال والجنوب متضادين في الحر والبرد، وجب أن تتدرج الكيفية من كليهما إلى الوسط، فيكون معتدلاً، فالإقليم الرابع أعدل<sup>(21)</sup> العمران، والذي حافته من الثالث والخامس أقرب إلى الاعتدال، والذي يليهما من الثاني والسادس بعيدان من الاعتدال، والأول والسادس أبعد بكثير، فلهذا كانت العلوم والصناعات والمباني والملابس والأقوات والفواكه، بل والحيوانات وجميع ما يتكون في هذه الأقاليم الثلاثة المتوسطة مخصوصة بالاعتدال، وسكانها من البشر أعدل أجساماً وألواناً وأخلاقاً وأدياناً، حتى النبوءات فإنما توجد في الأكثر فيها، ولم نقف على خبر بعثة في الأقاليم الجنوبية ولا الشمالية»<sup>(22)</sup>.

فالأقاليم الأقرب للاعتدال إنما تكون مساكنهم وبيوتهم منمقة بالحجارة، يضاف إلى ذلك استخدامهم للمعادن الطبيعية من ذهب وفضة وحديد ونحاس ورمصاص، على حين أننا نجد ساكني الأقاليم البعيدة من الاعتدال يتخذون الطين والقصب لمساكنهم، وأما أقواتهم في من الذرة والعشب، وملابسهم من أوراق الشجر يخصفونها عليهم، بل أكثرهم عرايا من اللباس، وأخلاقهم قريبة من أخلاق الحيوانات<sup>(23)</sup>، بل نراه يذهب إلى أبعد من ذلك، من أن بعض هذه الأقاليم «متوحشون غير مستأنسين يأكل بعضهم بعضاً»<sup>(24)</sup>، ثم يسترسل في حديثه عن تأثير المناخ على سكان هذه الأقاليم من حيث الحرارة والبرودة.

#### ب. الانتقال من البداوة إلى الحضرة

لقد بين ابن خلدون أن الانتقال من طور البداوة إلى طور الحضرة من العوامل الرئيسة التي تساعد في قيام الحضارة والعمران، وأن أجيال البدو والحضر طبيعية، واختلاف الأجيال في عيشتهم إنما يعود لاختلاف مصدر معاشهم.

لذلك راح ابن خلدون يصنف البدو والحضر إلى أجيال.

فجيل البدو لديه يضم ثلاثة أجيال هي:

1 . العرب: هم الجيل الأول وهم «المنتحلون للمعاش الطبيعي من الفلح والقيام على الأنعام وأهم مقتصرين على الضروري من الأقوات والملابس والمساكن وسائر الأحوال والعوائد ومقصورون عما فوق ذلك

21 - ربما يقصد أكثر اعتدالاً.

22 - ابن خلدون: المقدمة، 103.

23 - ينظر: ابن خلدون: المقدمة، 103-104 بتصرف.

24 - ابن خلدون: المقدمة، 104.



من حاجي أو كمالٍ يتخذون البيوت من الشعر والوبر أو من الشجر أو من الطين والحجارة غير مُتَّجِدَةٍ إنما هو قصد الاستتلال والكن لا ما وراءه وقد يأوون إلى الغيران والكهوف وأما أقواتهم فيتناولون بها يسيراً بعلاج أو بغير علاج البتة إلا ما مسته النار»<sup>(25)</sup>.

2. الفلاحون: (المغلبون لأهل الأمصار) فمن كان معاشه منهم في الزراعة والقيام بالفلاح كان المقام به أولى من الظعن، وهؤلاء سكان المَدَر والقرى والجبال، وهم عامة البربر والأعاجم...<sup>(26)</sup>.

3. الشاوية: أما الشاوية فهم ينضوون ضمن «مَن كان معاشه في السائمة مثل الغنم والبقر فهم طُعن في الأغلب لارتياح المسارح والمياه لحيواناتهم فَالتَّقَلُّبُ في الأرض أصلح بهم ويُسمون شاويةً ومعناه القائمون على الشاء والبقر ولا يُبعِدون في القَفَر لفقدان المسارح الطيبة وهؤلاء مثل البربر والترک وإخوانهم من التركمان والصفالية»<sup>(27)</sup>.

ولما كان التمدن غاية للبدوي يجري إليها، وكانت البادية أصلاً للعمران والأمصار مدداً لها<sup>(28)</sup>، فإن الجيلين الأخيرين: الفلاحين والشاوية، بحكم قربهما من المدينة يتوقون دوماً إلى السكن فيها. أما أجيال الحضرة؛ وهم سكان المدينة فثلاثة أيضاً:

1. فئة الجماهير العاملة في المدن من تجار صغار وصنّاع، وأصحاب المهن والوظائف من أهل الفتيا والتدريس، ويسميه ابن خلدون (فاقدي الجاه)، وبما أن "كل طبقة من طباق أهل العمران من مدينة أو إقليم، لها قدرة على مَن دوَّنها من الطباق، وكل واحد من الطبقة السفلى يستمد بذي الجاه من أهل الطبقة التي فوقه، ويزداد كسبه تصرفاً فيمن تحت يده، على قدر ما يستفيد منه"<sup>(29)</sup>، فإن فاقدي الجاه إذا اقتصروا على «فوائد صنائعهم فيأنهم يصيرون إلى الفقر والخصاصة في الأكثر، ولا تسرع إليهم ثروة، وإنما يرمقون العيش ترميقاً ويدافعون ضرورة الفقر مدافعة»<sup>(30)</sup>.

2. الفئة الوسطى التي تحظى بمكانة لدى أصحاب الجاه، فتساعدوها وتأخذ بيدها لتمكنها من تنمية تجارتها وصناعتها في حرز من استغلال المستغلين وعدوانهم.

3. فئة أصحاب (الجاه المفيد للمال) فهؤلاء بيدهم الملك والسلطان أي إنهم أصحاب الولاية، أصحاب المهنة الثالثة بعد التجارة والصناعة.

### ت. السياسة وتأثيرها على الحضارة والعمران

لا تستقيم الحضارة ولا تُبنى إلا إذا رعتها السياسة وتبنتها، فمن غير السياسة -بصرف النظر عن ما هيتها- لا يمكن للحضارة أو العمران أن ينهضا، لذلك فإن ابن خلدون يرى أن وجود الحاكم أمر لا بد منه، وأن الاجتماع البشري ضروري، وأنه لا بد لهم في الاجتماع من وازع حاكم يرجعون إليه، وحكمه فيهم: فتارة يكون مستنذاً إلى شرع الله المنزل والذي يوجب انقيادهم إليه إيمانهم بالثواب والعقاب عليه الذي

25 - ابن خلدون: المقدمة ، 151.

26 - ابن خلدون: المقدمة، 151.

27 - ابن خلدون: المقدمة، 151.

28 - ينظر: ابن خلدون: المقدمة، 152-153. بتصرف

29 - ابن خلدون: المقدمة، 489.

30 - ابن خلدون: المقدمة، 490.

جاء به مبلغه؛ وتارة إلى سياسة عقلية يفرض انقيادهم إليها ما يتوقعونه من ثواب ذلك الحاكم بعد معرفته بمصالحهم.

ويرى ابن خلدون أن الأولى يحصل نفعها في الدنيا والآخرة وذلك لعلم الشارع بالمصالح في العاقبة، ولمراعاته نجاة العباد في الآخرة، والثانية إنما يقتصر نفعها دنيوياً فقط. فما يقال عن السياسة المدنية إنما معناه عند الحكماء ما يجب أن يكون عليه كل واحد من أهل ذلك المجتمع في نفسه وخلقهم حتى يستغنوا عن الحكام رأساً؛ ويسمون المجتمع الذي يحصل فيه ما يسمى من ذلك (بالمدينة الفاضلة)؛ والقوانين المراعاة في ذلك (بالسياسة المدنية).

أما السياسة العقلية فتكون على وجهين. أحدهما يراعي فيها المصالح على العموم ومصالح السلطان في استقامة ملكه على الخصوص، وهذه كانت سياسة الفرس وهي على جهة الحكمة، وقد أغنانا الله عنها في الملة ولعهد الخلافة، لأن الأحكام الشرعية مغنية عنها في المصالح العامة والخاصة والآداب، وأحكام الملك مندرجة فيها، الوجه الثاني أن يراعي فيها مصلحة السلطان وكيف يستقيم له الملك مع القهر والاستطالة، وتكون المصالح العامة في هذه تبعاً، وهذه السياسة التي يحمل عليها أهل الاجتماع التي لسائر الملوك في العالم من مسلم وكافر، إلا أن ملوك المسلمين يجرون منها على ما تقتضيه الشريعة الإسلامية بحسب جهدهم؛ فقوانينها إذاً مجتمعة من أحكام شرعية، وآداب خلقية، وقوانين في الاجتماع طبيعية، وأشياء من مراعاة الشوكة والعصبية ضرورية، والافتداء فيها بالشرع أولاً، ثم الحكماء في أدبهم والملوك في سيرهم<sup>(31)</sup>.

#### ث. الثروة ودورها في الحضارة وال عمران

ذهب ابن خلدون إلى أن الكسب والإنتاج وال عمران لا يتحقق إلا بالسعي والعمل، فالكسب « إنما يكون بالسعي في الاقتناء والقصد إلى التحصيل، فلا بد في الرزق من سعي وعمل ولو في تناوله وابتغائه من وجوهه.... فلا بد من الأعمال الإنسانية في كل مكسوب ومُتَمَوِّل<sup>(32)</sup>»، ثم إن الثروة والمال لا ينبغي أن يعتمد فيهما الإنسان على الحظ أو الطالع أو التنجيم أو وجود كنوز دفينية تحت التراب و«اعلم أن كثيراً من ضعفاء العقول في الأمصار يحرصون على استخراج الأموال من تحت الأرض، ويتبعون الكسب في ذلك، ويعتقدون أن أموال الأمم السالفة مختزنة كلها تحت الأرض محتوم كلها بطلاسم سحرية لا يفرض ختامها ذلك إلا من عثر على علمه، واستحضر ما يحلله من البخور والدعاء والقربان»<sup>(33)</sup>.

#### ج. العدل ودوره في العمران والحضارة

لقد ذهب ابن خلدون إلى أن العدل من الأسس المهمة في قيام الحضارات، حيث أفرد حديثاً ليس بالقليل عن هذا الجانب، ذلك لأن الجور والظلم - ولاسيما عند انتهاء ثروات الناس - إنما يكفان المرء عن السعي في الاكتساب، فعندما يدرك المرء أن الغاية هي النهب والسرقة عندها لا بد أن ينكفئ على ذاته، ويعترف عما يمكن أن يقوم به ويقدمه للمجتمع، وليكن معلوماً: «أن العدوان على الناس في أموالهم ذاهب بآمالهم في تحصيلها واكتسابها لما يروونه حينئذ من أن غايتها ومصيرها انتهابها من أيديهم، وإذا ذهب آمالهم في اكتسابها وتحصيلها انقبضت أيديهم عن السعي في ذلك، وعلى قدر الاعتداء ونسبته يكون انقباض

31 - ينظر: ابن خلدون: المقدمة، 377-378.

32 - ابن خلدون: المقدمة، 477-478.

33 - ابن خلدون: المقدمة، 481.

الرعايا عن السعي في الاكتساب، فإذا كان الاعتداء كثيراً عاماً في جميع أبواب المعاش، كان القعود عن الكسب كذلك لذهابه بالأمال جملة بدخوله من جميع أبوابها، وإن كان الاعتداء يسيراً كان الانقباض عن الكسب على نسبته، والعمران ووفوره ونفاق أسواقه، إنما هو بالأعمال، وسعي الناس في المصالح والمكاسب، ذاهبين وجائين، فإذا قعد الناس عن المعاش وانقبضت أيديهم عن المكاسب كسدت أسواق العمران، وانتقضت الأحوال وأبدع<sup>(34)</sup> الناس في الآفاق من غير تلك الإيالة في طلب الرزق فيما خرج عن نطاقها، فخف ساكن القطر، وخلت دياره، وخربت أمصاره، واختل باختلاله حال الدولة والسلطان؛ لما أنها صورة للعمران تفسد بفساد مادتها ضرورة<sup>(35)</sup>، فالعدل أساس الحكم والملك الذي يفضي من ثم إلى التقدم في الحضارة والعمران، فإذا كثرت الانتهابات انقبضت الأيدي وانكفأت عن العمل، إنما النسبة والتناسب بكل بساطة.

إذاً فمن وجهة نظر ابن خلدون أن الجغرافية، والانتقال من البداوة إلى الحضرة، والسياسة، والثروة، ومن ثم العدل، هذه كلها مجتمعة تعتبر من أهم الأسباب التي تساعد على بناء الحضارة والعمران، أما عن الأسباب التي تومئ بزوال هذه الحضارة وانهارها، فيردها إلى عدة عوامل.

## 2. أسباب انهيار الحضارة والعمران عند ابن خلدون

يسهب ابن خلدون في الحديث عن أسباب انهيار الحضارة والعمران في مقدمته كثيراً، ويذهب إلى أن أهم هذه الأسباب هي:

### أ. غلبة العرب على الأوطان

يعد هذا الأمر من العوامل الرئيسة التي مهدت لانهيار الحضارة، إذ غدت الوحشية خلقاً وجبلت لدى العرب، ولا يسوق ابن خلدون هذا السبب عبثاً؛ ولكنه يفنده ويؤيد ما يذهب إليه "وذلك لما اختصوا به من نكد العيش وشظف الأحوال وسوء المواطن حملتهم عليها الضرورة التي عينت لهم القسمة، وهي لما كان معاشهم من القيام على الإبل وتناجها ورعايتها، والإبل تدعوهم إلى التوحش في القفر... فصار لهم إلفاً وعادة، وريبت فيه أجيالهم خلقاً وجبلت"<sup>(36)</sup>، يضاف إلى ذلك أنهم مغرورون في بداوتهم، وكأنهم منفصلون عن سائر الأمم، يضاف إلى ذلك تحليهم بطبع عدم الانقياد إلى السياسة «والسبب في ذلك أنهم أكثر بداوة من سائر الأمم وأبعد مجالاً في القفر وأغنى عن حاجات التلؤلؤ وحبوبها لاعتيادهم الشظف وخشونة العيش، فاستغنوا عن غيرهم فصعب انقياد بعضهم لبعض»<sup>(37)</sup>، كما يشير ابن خلدون إلى ذلك في مقدمته تحت مسمى «العرب إذا تغلبوا على أوطان أسرع إليها الخراب» حيث يقول: «والسبب في ذلك أنهم أمة وحشية باستحكام عوائد التوحش وأسبابه فيهم، فصار لهم خلقاً وجبلت، وكان عندهم ملذوذاً لما فيه من الخروج عن ريقه الحكم، وعدم الانقياد للسياسة، وهذه الطبيعة منافية للعمران ومناقضة له، فغاية الأحوال العادية كلها عندهم الرحلة والتغلب، وذلك مناقض للسكون الذي به العمران ومنافٍ له»<sup>(38)</sup>.

34 - ابذع: تفرق

35 - ابن خلدون: المقدمة، 353-354

36 - ابن خلدون: المقدمة، 161-162.

37 - ابن خلدون: المقدمة، 189.

38 - ابن خلدون: المقدمة، 187.

### ب. التحكم بطبيعة الملك من الانفراد بالمجد وحصول الترف والدعة

هذا السبب - من وجهة نظر ابن خلدون - كفيل باختيار الحضارة وإقبال الدولة على الهرم، يبين ذلك من عدة وجوه<sup>(39)</sup>.

**الوجه الأول:** لما كان المجد مشتركاً بين العصابة، وكان سعيهم له واحداً، كانت همهم في التغلب على الغير والذَّبِّ عن الحَوْزَةِ<sup>(40)</sup> أسوة في طموحها، يستطيون الموت في بناء مجدهم، وقد يؤثر الموت دون ذلك، وإذا انفرد الواحد منهم بالمجد قرع عصبيتهم، وكبح من أعتتهم واستأثر بالأموال دونهم، فتكاسلوا عن الغزو، وفشل برجمهم، ورثموا<sup>(41)</sup> المذلة والاستعباد، ثم ربي الجيل الثاني منهم على ذلك، يحسبون ما ينالهم من العطاء أجراً من السلطان لهم على الحماية والمعونة.

**الوجه الثاني:** أن طبيعة الملك تقتضي الترف، فتكثر عوائدهم وإيراداتهم، وتزيد نفقاتهم على أعطياتهم، وهذا بلا ريب لن يفني دخلهم بخرجه؛ فالفقير منهم يهلك، والمترف يستغرق عطاءه بترفه، ثم يزداد ذلك في أجيالهم المتأخرة إلى أن يقصر العطاء كله عن الترف الذي هو مفسد للخلق بما يحصل في النفس من ألوان الشر والسفسفة وعوائدها، فتذهب منهم خلال الخير التي كانت علامة على الملك ودليلاً عليه، ويتصفون بما يناقضها من خلال الشر، فيكون علامة على الإديبار، والانقراض بما جعل الله من ذلك في خلقته، وتأخذ الدولة مبادئ العطب، وتتضعض أحوالها وتنزل بما أمراض مزمنة من الهرم إلى أن يقضي عليها.

**الوجه الثالث:** أن طبيعة الملك تقتضي الدعة، وإذا اتخذوا الدعة والراحة مألفاً وحُلُقاً، صار ذلك طبيعة وجبلة شأن العوائد كلها وإيلافها، فتربى أجيالهم الحادثة في غضارة العيش ومهاد الترف والدعة، وينقلب خلق التوحش، وينسون عوائد البداوة التي كان بها الملك من شدة البأس، وتعود الافتراس، وركوب البيداء، وهداية القفر، فلا يفرق بينهم وبين السوقة من الحضرة إلا في الثقافة والشارة، فتضعف حمايتهم، ويذهب بأسهم، وتنخضد شوكتهم، ويعود وبال ذلك على الدولة بما تلبس به من ثياب الهرم فينسون خلق البسالة... حتى يعودوا عيالاً على حامية أخرى.

إن استئثار العصابة بالمجد والملك الذي سيفضي إلى الثراء والترف ومن ثم الراحة والدعة، كل ذلك لا بد أن يساعد على انهيار الدولة وسقوطها.

### ج. انقسام الدولة الواحدة إلى دولتين

فهذا من العوامل المؤثرة التي تؤدي بالدولة إلى الهرم، ومن ثم الانهيار، فانقسام الدولة لا بد أن يفضي إلى إضعافها شيئاً فشيئاً، وربما يعود السبب في ذلك هو حب الملك والتسلط، "وذلك أن الملك عندما يستفحل ويبلغ من أحوال الترف والنعيم إلى غايتها، ويستبد صاحب الدولة بالمجد، وينفرد به... يصير إلى قطع أسبابها<sup>(42)</sup>"، وما ذلك إلا للاستئثار بالملك، فتضيع الدولة، وتؤول إلى زوال، ثم يورد ابن خلدون عدة أمثلة على ذلك<sup>(43)</sup>.

39 - ابن خلدون: المقدمة 210-211-212 بتصرف.

40 - الحوزة: الدفاع عن الناحية.

41 - رثموا: أحيوا وألغوا.

42 - ابن خلدون: المقدمة، ص360.

43 - ينظر ابن خلدون: المقدمة، 361-362.

## د. الظلم

الظلم ظلمات، وهو مؤذن بخراب الحضارة وال عمران، فإذا اعتدّي على الإنسان في ماله لا بد أن تنقبض يده عن العمل والسعي، وهذا سيشكل - من غير شك - حالة من التشاؤم والنكوص عنده، ومن ثم ستنهب آماله أدرج الرياح، يوضح ابن خلدون ذلك قائلاً: «اعلم أن العدوان على الناس في أموالهم ذاهب بآمالهم في تحصيلها واكتسابها لما يروونه حينئذ من أن غايتها ومصيرها انتهاؤها من أيديهم، وإذا ذهبت آمالهم في اكتسابها وتحصيلها انقبضت أيديهم عن السعي في ذلك... فإذا قعد الناس عن المعاش وانقبضت أيديهم عن المكاسب كسدت أسواق العمران وانقضت الأحوال وايدعَّر<sup>(44)</sup> الناس في الآفاق»<sup>(45)</sup>.

من ذلك أيضاً تسخير الرعايا بغير حق، فـ «من أشد الظلمات وأعظمها في إفساد العمران تكليف الأعمال وتسخير الرعايا بغير حق... فإذا كلفوا العمل في غير شأئهم واتخذوا سُخْرِيًّا في معاشهم، بطل كسبهم واغتصبوا قيمة عملهم ذلك، وهو مُتموِّهم، فدخل عليهم الضرر، وذهب لهم حظ كبير من معاشهم، بل هو معاشهم بالجملة، وإن تكرر ذلك أفسد آمالهم في العمارة، وقعدوا عن السعي فيها جملةً، فأدى ذلك إلى انتفاض العمران وتخريبه»<sup>(46)</sup>.

وربما يدخل في هذا الباب أيضاً الاحتكار، ولعله أشد وطأة وأعظم وقعاً على خراب العمران، فـ «أعظم من ذلك في الظلم وإفساد العمران والدولة التسلط على أموال الناس، بشراء ما في أيديهم بأجنس الأثمان، ثم فرض البضائع عليهم بأرفع الأثمان على وجه الغضب والإكراه في الشراء والبيع، وربما تُفرض عليهم تلك الأثمان على التواحي والتعجيل»<sup>(47)</sup>، فيتعللون في تلك الخسارة التي تلحقهم بما تحدّثهم المطامع من جبر ذلك بحالة الأسواق في تلك البضائع التي فرضت بالغلاء إلى بيعها بأجنس الأثمان، وتعود خسارة ما بين الصفتين على رؤوس أموالهم»<sup>(48)</sup>.

## هـ. الحضارة غاية العمران وبداية نهايته

يشبه ابن خلدون العمران بالإنسان وبالحيوانات الطبيعية من حيث أعمارها، فيذهب إلى أن غاية العمران هي الحضارة والترف، وأنه إذا بلغ غايته انقلب إلى الفساد وأخذ في الهرم كالأعمار الطبيعية للحيوانات<sup>(49)</sup>، فغاية العصبية الملك والدولة، «والحضارة غاية للبداءة، والعمران كله من بداءة وحضارة وملك وسوقة له عمر محسوس، كما أن للشخص الواحد من أشخاص المكونات عمراً محسوساً، وتبين في المعقول والمنقول أن الأربعين للإنسان غاية في تزايد قواه ونموها، وأنه إذا بلغ سن الأربعين وقفت الطبيعة عن أثر النشوء والنمو برهة، ثم تأخذ بعد ذلك في الانحطاط، فلتعلم أن الحضارة في العمران أيضاً كذلك»<sup>(50)</sup>، فالعمران إذاً كالإنسان الذي ما يكاد يصل إلى ذروة شبابه وقوته حتى يبدأ بالضعف والذبول.

هذا أبرز ما توصل إليه ابن خلدون في نظريته حول الحضارة (نشوئها وانهارها)، لقد دخل ابن خلدون

44 - ابدع: تفرّق

45 - ابن خلدون: المقدمة، 353-354

46 - ابن خلدون: المقدمة، 357.

47 - في بعض النسخ: التراخي والتأجيل.

48 - ابن خلدون: المقدمة، 357.

49 - ابن خلدون: المقدمة، 468.

50 - ابن خلدون: المقدمة، 365.

فلسفة التاريخ من أوسع أبوابه، فجاء بما لم يبيء به أحد قبله، سبعة قرون قد مضت على مقدمته، ورغم ذلك لم تنزل تتصف بجدتها وانفرادها في الثقافة العربية خاصة، وفي الثقافة العالمية عامة، ومع تغير الظروف في العالم عموماً، إلا أنها مازالت مدخلاً صالحاً تفتح الباب على مصراعيه لقراءة هذا العالم.

#### الخاتمة

صفوة القول أن ابن خلدون أسس لنظرية في علم الاجتماع غاية في الأهمية ألا وهي (نظرية العمران)، إذ بين أن المجتمعات البشرية إنما تسير وفق قوانين مضبوطة ومحددة، وهذه القوانين تفتح المجال على قدر كبير من التنبؤ بالمستقبل من حيث تطور الحضارات وأهيارها إذا ما درست وفهمت بالشكل الصحيح، فعلم العمران عنده لا يتأثر بالحوادث والتصرفات الفردية؛ وإنما هو كل عام، بمعنى أنه يتأثر بالمجتمعات ككل، ثم إن هذه النظرية لا ينحصر تطبيقها على زمان ومكان معينين؛ وإنما ينسحب على جميع الأمكنة والأزمنة.

لقد تناول ابن خلدون في مقدمته الكثير من العلوم على اختلافها، كعلوم الشريعة، والجغرافية، والسياسة، والعمران، والاجتماع، من غير أن يتناسى أحوال الناس وطبائعهم.

ولعل أهم ما جاء عليه ابن خلدون في هذه المقدمة دراسته المستفيضة لتطور الحضارة ونشوء الدول وأهيارها، إذ تبين لنا من خلال هذه الدراسة أن هناك كثيراً من الأسباب قد أثرت في بناء الحضارة والعمران، من أهم هذه الأسباب: الجغرافية، والانتقال من البداوة إلى الحضرة، وكذلك الأمر بالنسبة إلى السياسة التي كان لها النصيب الأكبر في ذلك، يضاف إلى ذلك أيضاً الثروة وأثرها في بناء الحضارات، علاوة على العدل الذي يعتبر شرطاً رئيساً في التطور والبناء، على أن ابن خلدون لم يترك الباب مفتوحاً، فراح يسوق الأسباب التي تومئ إلى انهيار هذا العمران، ومنها: غلبة العرب على الأوطان، والتحكم بطبيعة الملك كالتفرد بالحد وحصول الترف والدعة، ومن الأسباب التي كانت تساعد على انهيارها أيضاً: انقسام الدولة الواحدة إلى دولتين، فضلاً عن الظلم الذي لا يقل أثراً عما سبق.

#### المصادر والمراجع

- www.إبراهيم، حسام العيسوي. «قيام الحضارات وسقوطها» ابن خلدون نموذجاً. (28-5-2014)،  
 أطلع عليه بتاريخ 27-6-2018. alukah.net.
- ابن خلدون. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر. ضبطه. خليل شحادة، راجعه. سهيل زكار. بيروت: دار الفكر، الطبعة الثانية، 2001.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي. لسان العرب. 15 جزءاً. بيروت: دار صادر، الطبعة 3، 1414 هـ .
- بوزياني، فاطمة الزهراء. مفهوم الحضارة بين مالك بن نبي وابن خلدون. الجزائر: جامعة أبي بكر بلقايد، 2012.
- الجوهري، محمد- يوسف، محسن. ابن خلدون إنجاز فكري متجدد. الإسكندرية: مكتبة الإسكندرية، 2008.
- حسين، طه: فلسفة ابن خلدون الاجتماعية (تحليل ونقد)، ترجمة. محمد عبد الله عنان. القاهرة: مطبعة الاعتماد بشارع حسن الأكبر بمصر، الطبعة 1، 1343هـ/1925م.

- خليل، عماد الدين. ابن خلدون إسلامياً. د.م. المكتب الإسلامي، الطبعة 1، 1403/1983.
- الزركلي، خير الدين. الأعلام. د.م. دار العلم للملايين، الطبعة 15، 2002.
- عنان، محمد عبد الله: ابن خلدون حياته وتراثه الفكري. القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، الطبعة 1، 1352هـ/1933م.
- الفيروزآبادي، محمد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب. القاموس المحيط. تحقيق. مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة. بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة 8، 1426هـ/2005م.
- إبراهيم مصطفى - أحمد الزيات - حامد عبد القادر - محمد النجار. مجمع اللغة العربية المعجم الوسيط. القاهرة: دار الدعوة، د.ت.
- واقي، علي عبد الواحد. مقدمة ابن خلدون. القاهرة: دار تحفة مصر للنشر، الطبعة 6، 2012.

## KAYNAKÇA

- İbrahim, Hüsâm İsevi. *Kiyâmu'l-Hadâratı ve Sukûtuha, İbn Haldûn Örneği*. [www.alukah.net](http://www.alukah.net). (Erişim 06.27.2018).
- İbn Haldûn. *Divânü'l-mubtedei ve'l-haberi fi târihi'l-arabi ve'l-berrir ve men âsarahum min zevi's-şe'ni'l-ekber*. thk. Halil Şehâde-Süheyl Zekkâr. Beyrut: Dâru'l-Fikr, 2. Basım, 2001.
- İbn Manzûr, Muhammed b. Mukrim b. Ali Ebu'l-fadl Cemâluddîn Ensârî er-Ruveyifi el-Afriki. *Lisânu'l-Arab*. 15 cilt. Beyrut: Dâru Sâdır3 ., Basım, 1414.
- Büzîyânî, Fâtima Zehra. *Mefhûmu'l-hadâratı beyne Mâlik b. Nebâ ve İbn Haldûn*. Cezair: Câmîatu Ebî Bekir belkâid, 2012.
- Cevherî, Muhammed Yusuf Muhsin. *İbn Haldûn İncâzun fikriyyun muteceddidun*. İskenderiye: Mektebetu'l-İskenderiyye, 2008.
- Huseyn Taha. *Felsefetu İbn Haldûni'l-İctimâiyye*. trc. Muhammed Abdullah 'Înân Mısır: Matbaatu'l-'İtimâd bişârii', Hasan Ekber 1. Basım, 1925.
- Halil 'İmâdu'd-dîn. *İbn Haldûn İslâmiyyen*. b.y.: Mektebetu'l-İslâmî, 1. Basım, 1983.
- Zerikî, Hayruddîn. *el-Âlâm*. b.y.: Dâru'l-ilmi Lilmelâyîn15., Basım, 2002.
- Muhammed Abdullah 'Înân. *İbn Haldûn Hayâtuhu ve Turâsuhu'l-fikrî*. Kahire: Matbaatu Dâri'l-kutubi'l-Mısriyye, 1. Basım, 1933.
- Fîruzâbâdî, Mecduddîn Ebû Tâhir Muhammed b. Yâkûb. *Kâmûsu'l-muhît*. thk. Mektebu tahkiki't-turâs fi müesseseti'r-risâle. Beyrut: Müessesetu'r-risâle li't-tibâati ve'n-neşr ve't-tevzî, 8. Basım, 2005.

Mustafâ, İbrâhîm, ez-Zeyyât Ahmed, Abdulkâdir Hâmid. *el-Mu‘cemu’l-Vasît*.  
Kâhire: Dâru’d-Da‘va, t.s.  
Vâfî, ‘Alî ‘Abdulvâhid. *Mukaddimetu İbni Haldûn*. Kâhire: Dâr Nahdati Mısr lî’n-  
Neşr, 6. Basım, 2012.